

حُصُّ
الثّوم

حمص الثوم

كَانَ في قَديمِ الزَّمَانِ، حَطَّابٌ وَحَطَّابَةٌ لَهُمَا سَبْعَةُ أولاد، كُلُّهم صِبْيَانٌ، لَيْسَ فِيهِمْ بِنْتٌ وَاحِدَةٌ. وكَانَ أَكْبَرُهمُ لا يَتَجاوَزُ العَاشِرَةَ من عُمْرِهِ، وَأَصْغرُهُم في السَّابِعَةِ.

كَانَا في أَشدِّ حَالَاتِ الفقْرِ، وَأولادُهُما السبعَةُ يُكَلِّفانِهمَا هَمًّا كَبيراً وتعباً. إذْ لم يَكُنْ في قُدْرَةِ وَاحِدٍ مِنْهُم أَنْ يَشتَغِلَ بِثمَنِ خُبْزِ يَوْمِهِ.

وكانَ يَزِيدُ في حُزْنِهِمَا أَنَّ أَصْغَرَ أولادهمَا كانَ ضئِيلَ الحَجْمِ جِدًّا، لَا يَقُولُ كَلِمَةً حَتَّى يَحْسِبَاهَا ثَرْثَرَةً فارغَةً وَلَو دَلَّتْ على ذَكَاءٍ وَنَفْسٍ طَيِّبَة.

الى ذٰلِكَ، بَقِيَ ضئِيلًا بَطِيءَ النُّموِّ حَتَّى لَقَّبُوه بِحِصِّ الثُّومِ. فَأَصْبَحَ هٰذَا الصَّغِيرُ المِسْكِينُ سَبَبَ شقَاءِ العَائِلَةِ كُلِّهَا، ومَا من مَرَّةٍ إلَّا كَانَ الحَقُّ عَليهِ.

وَلما كَانَ أَصْغَر إخوَتِهِ جميعاً، كَان يتكَلَّمُ قَلِيلًا وَيُصغي كَثيراً.

إتَّفَقَ أَنْ جَاءَت سَنَةُ جفَاف لم تُمْطِرْ فِيها السَّماءُ، فَحَدَثَتْ مَجَاعَةٌ كَبيرَة، حتَّى فَكَّرَ الزَّوجَان الفقِيرَانِ في التَخلُّصِ من أولادِهما.



في ذاتِ مَساءٍ، وكانَ الأَوْلادُ نِياماً، وَالوالِدانِ قُرْبَ المَوْقِدِ يَتَدَفَّآنِ، قالَ الرَّجُلُ لِامرأتِهِ، وَقَلْبُهُ يَرْتَعِشُ مِنَ الأَلَمْ:

«تَرَيْنَ يا عَزيزتي، أَنَّنا لا نَقْدِرُ بَعْدَ اليَوْمِ أَن نَكْسَبَ قُوتَ أَوْلادِنا، ولا أَسْتَطِيعُ أَن أَراهُم يَمُوتُون جُوعاً، وأَنا أَنْظُرُ إليهم. لِذَا عَزَمْتُ أَنْ نَأْخذَهُم مَعَنا الى الغابَةِ، وَبَيْنَما يَلْهَون بِجَمْعِ الحَطَبِ، نَتْرُكُهُم في غَفْلَةٍ عَنّا، وَنَمْضي في سَبِيلنا، واللهُ يَتولّى أَمْرَهُم من بعدِنا.

- أَوّاه! الى هذا الحَدِّ بَلَغَت بِكَ القَسْوَةُ حَتّى تَقُودَ أَولادَكَ الى الهَلاك؟! بهذِهِ اللَّوعةِ صَرَخَتِ المرأَةُ. وراحَ الزَّوجُ يَصِفُ لَهَا حَالَتهما البَائِسَةَ، فَلَمْ تَستَطِعْ أَنْ تُوافِقَ عَلى فكرتِهِ. فَمَهْمَا كَانَتْ عَلَيْهِ مِنَ الفقْرِ، فإنَّهَا لا تَزالُ أُمّاً.

غيرَ أَنَّهَا عَادَتْ تُفكِّرُ في لَوْعَتِهَا حِينَ تَنْظُرُ إِلَيْهِمْ يَتَألَّمُونَ مِنَ الجُوعِ، وَيَمُوتُونَ وَهِيَ لا تَقْدِرُ أَنْ تَصْنَعَ شَيْئاً. حِينَئِذٍ وَافَقَتْ عَلَى رَأْيِ زَوْجِهَا، وَنَامَت وَهِيَ تَبْكي من الحُزْنِ عَلَى أَولادِها.

كانَ حُصُّ الثُّومِ يَسْمَعُ مَا دَارَ مِنَ الحَدِيثِ، وهُو مُغطّى الى ما فوقِ رأْسِهِ، فَنَهَضَ بِخِفَّةٍ واندسَّ تَحْتَ سَرِيرِ وَالِدِهِ لِيَسْمَعَهُ ولا يَراهُ أَحَد.

ثُمَّ عادَ يُرِيدُ النَّومَ، لكِنهُ لم يَقْدِرْ على النومِ، بل رَاحَ يُفَكِّرُ في ما عَلَيهِ أَن يَصنعَ. فَنَهَضَ عِنْدَ طُلوعِ الفَجْرِ، وَذَهَبَ إلى ضِفَّةِ جَدْوَلٍ حَيْثُ مَلَأَ جُيُوبَهُ بِحَصىً صغيرٍ أَبْيَض، وعَادَ الى البَيْتِ حالاً.

وَمَضوا جَميعاً نحو الغَابَةِ، وَلَمْ يَقُلْ حصُّ الثوم لِأُخوتِهِ شَيْئاً مِمَّا عَرَفَ...

وَصَلُوا إلى غابَةٍ كَثِيفَةِ الأَشجارِ، لا يَقْدِرُ الوَاحِدُ أَنْ يرى الآخرَ فيها إلا إذا كانَ الى جَانِبِهِ.

رَاحَ الحَطَّابُ يَقْطَعُ الحَطَبَ، والأَولادُ يَجْمَعُونَ القِطَعَ لِيَجْعَلُوا مِنْهَا حِزَماً. لَمَّا رأَى الوالِدُ والوَالِدَةُ أَبناءَهُم مُنْصَرِفينَ الى شُغْلِهِمْ، رَاحا يَتَباعدانِ عَنْهُمْ شيئاً فَشَيْئاً دُونَ أن يَشعُرُوا. ثُمَّ وَصَلا إلى شِعْبٍ في الغابَةِ وَرَاحا يَرْكُضان.

لَمَّا رأَى الأَوْلادُ أَنَّهُمْ أَصبَحُوا وَحدَهم في الغَابَةِ، أَخذُوا يَصْرُخونَ وَيَبْكُونَ بِكُلِّ مَا لَدَيْهِم من قُوَّةٍ.

فَتَرَكَهُمْ حصُّ الثُّومِ في صُراخِهِم وَبُكائِهِمْ، وَرَاحَ يُحَاوِلُ أَنْ يَعُودَ إلى البَيْتِ، لِأَنَّهُ في طَرِيقِهِ الى الغَابَةِ، كَانَ يُلْقي الحَصى الدقيق الأَبيضَ على مَدى الطَّرِيقِ. حينئذٍ تَوَجَّهَ إلى أُخوتِهِ وقَالَ لهم:

- لا تَخَافُوا يا أُخوَتي، ولا تَبْكُوا! إنَّ وَالِدَنا ووالِدَتنا تَركانا هُنَا في الغَابَةِ. غيرَ أَني عَائِدٌ بِكُمْ إلى البَيْتِ. فَمَا لَكُمْ إلاّ أَن تَتْبَعُوني.

وَهكذا مشى حصُّ الثُّومِ، وَمَشى أُخوتُهُ في أَثَرِهِ حَتّى وَصلُوا الى بَيْتِهِم في الطَّرِيقِ ذَاتِهِ الَّذي مَشَوا عَلَيْهِ لمَّا جاؤُا الغَابَةَ في الصَّباح.



خافُوا أَوَّلَ الأَمْرِ أن يَدخُلُوا ، فوقَفُوا جَمِيعاً إلى البَابِ يُنْصِتُونَ إلى ما يَقُولُ أبوهُمْ وَأُمُّهُم .

وَكَانَ أَنَّهُ سَاعَةَ بَلَغَ الحَطَّابُ وَالحطَّابَةُ مَنْزِلَهما عَائِدَيْنِ مِنَ الغَابَةِ ، أَرْسَلَ إلَيْهما سَيِّدُ القَرْيَةِ عَشَرَةَ دَرَاهِمَ كَانَتْ دَيْناً لَهُمَا عَلَيْهِ ، وَلَمْ يَخطُرْ لَهُمَا أَنَّهُمَا سَيَحْصُلانِ عليهَا

فَأَعَادَتْ هٰذِهِ الدُّرَيْهِماتُ إلَيْهِمَا الأَمَلَ بالحياةِ ، لِأَنَّهُمَا كادا يَمُوتَانِ جُوعاً . فأَرْسَلَ الحَطَّابُ زَوْجَتَهُ في الحَالِ إلى المَلْحَمَةِ . وَإِذْ كَانَتْ صَائِمَةً مُدَّةَ أَيَّامٍ لَمْ تَذُقْ فِيها طَعَاماً ، فقَدِ اشتَرَتْ مِنَ اللَّحْمِ ثَلاثَةَ أضعَاف مَا كَانَتْ تَشْتَري عَادَةً ، لِتَصْنَعَ عَشَاءَ اثنَيْنِ :



فلَمَّا أَكَلَتِ الحَطَّابَةُ كِفَايَتَها رَاحَت تقُول:

ـ يالَلْأَسَفِ ! أَينَ هُمْ أَولادُنا الآن ! أَمَا كَانَ أَحْسَنَ لو احتفَظْنا بهِم ؟ لكن ، أَنتَ يَا غَليُوم ، أَنتَ أَرَدْتَ أَن تتخَلَّصَ مِنْهُم، قُلْتُ لكَ أَكثَرَ من مَرَّة إنَّنا سَنَندم . مَا تراهُم يَصنَعونَ الآنَ في تلكَ الغابَةِ . يا للأَسف ! إِيَّاكَ أَسأَلُ يا إلٰهي !... آه ! أَلا تكُونُ الذئابُ قد هَجَمَتْ عَلَيْهِمْ وَأَكلَتْهُم؟ ما كَانَ أَبعَدَكَ عن شُعورِ الإِنْسَانِ في هذا العَمَل ! تَترُكُ الأَولادَ يَذْهَبُونَ فَرِيسَةَ الوُحُوشِ !...

فاحْتَمَلَ الحَطَّابُ تَوْبيخ زَوْجَتِهِ أَوّلاً ، ولكنَّهَا ، ظَلَتْ تلومُهُ ، وَتنَدِّمُهُ .

وأعادَت كَلامَ اللوْمِ والتوبيخِ أكثرَ من عِشرِينَ مرّة .

أخيراً، غَضِبَ منها، وتهدَّدَهَا بالضَرب، اذا لم تسْكُتْ .

لَمْ يَفْعَلِ الحطَّابُ ذٰلِكَ لِأَنَّهُ كانَ أَقلَّ حُزناً من زوجَتِهِ، لكن، خَرَجَ عَنْ هُدُوئِهِ لِأَنَّهَا مَلَأَتْ رأسَهُ بالكَلامِ المُؤْلِمِ ولو كانَ حَقِيقَةً. ولَمْ يكُنْ يكرَهُ أن يَسْمَعَ الحقِيقَةَ من فَمِ زَوْجَتِهِ، لٰكنَّ هذهِ حَقِيقَةٌ جَارِحَةٌ، طَالما رَدَّدَتْهَا على مَسْمَعِهِ .

فَأَخَذَتِ الحطَّابَةُ تَبْكِي قائلة :

وَا أَسَفا ! أينَ هُم أولادي الآن؟ أينَ أنتم يا أبنائي التُعَساء؟!

ورَدَّدَتْ هٰذَا الكَلَامَ بِصَوتٍ عَالٍ سَمِعَهُ الأَوْلَادُ الذينَ كانوا واقفِينَ إلى البَاب، فهَتَفُوا بِصَوْتٍ وَاحِدٍ :

ـ نحنُ هُنا ! نحْنُ هُنا !

فَأَسْرَعَتْ تَفتَحُ لَهُمُ البَابَ وَتَقُولُ وَهِيَ تَضِمُّهُم إِلَيْهَا :

ـ ما أعظمَ سُرُوري بِأَن أعودَ أَرَاكُمْ يا أَوْلادي الأَحبَّاء !



خَيْراً صَنَعْتُمْ بِعَوْدَتِكُمْ إلى البَيْتِ. ولا شَكَّ بِأَنَّكُمْ جائِعُونَ، أَنْتَ يا بيرو ! لَكَمْ تَمَرَّغْتَ في الوُحُولِ ! تَعَالَ أَغْسِلْكَ .

كان بيرو ابنُها البكر، وَأحبَّ أولادِهَا إلَيْهَا. لِأَنهُ كان أشقرَ مثلها.

وَجَلَسُوا جَميعاً الى المائِدةِ، وَرَاحُوا يَأْكُلُونَ بقابلية جَيِّدَةٍ، فَفَرِحَ بِهِمِ الأَبُ والأُمُّ .

ثُم أخَذَ الأَوْلادُ يُخبِرُونَ والِدَيهم ما لَاقوا من الخوفِ في الغابَةِ .

وكَانُوا يَتكَلَّمُونَ جَميعاً دفعةً واحدةً .

فَرِحَ الوَالِدَانِ الطيِّبانِ بِعَوْدَةِ أولادِهِما إلى البَيْتِ . وَلَمْ يَدُمْ هٰذَا الفرَحُ إلا وقْتاً قَصيراً .

فلَمَّا نَفِدَتِ الدراهِمُ العَشْرَةُ ، عَادَ الحَطّابُ وَالحَطّابَةُ حَزِينَيْنِ ، وَعَادا يفكّرانِ ثانيةً في التخلُّصِ من أَوْلادِهما ، لِئلّا يَموتُوا مِنَ الجُوعِ وَهُما يَنْظُرانِ إليهِما ، وَلا يقْدِرانِ على شيءٍ .

وهكذا ، قَرَّرا أن يأْخُذاهُم الى مَكانٍ أَبْعَدَ من الاوَّل . وَخَوْفاً من أَنْ يسمَعَ الصَّغيرُ كلامَهُما انفردَا وتَحدَّثَا بصَوْتٍ هَامِسٍ .

وَشَعَرَ الصَّغيرُ بالأَمْرِ ، وَنَهَضَ طُلُوعَ الفجْرِ لِيَمْلَأَ جيوبَهُ بالحَصى ، فوجدَ البَابَ مُقْفَلًا .

وَأَعطَى الوالِدَانِ كُلَّ وَاحدٍ من أَبنائِهما قِطعَةَ خُبْزٍ ، ففكَّرَ حُصُّ الثُوم بأَن يَجْعَلَ مِن فُتَاتِها عَلَامَاتٍ للطَّريقِ عِوَضَ الحَصَى ، فوضَعَهَا في جَيْبِهِ لِهٰذِهِ الغَايَة .

فَأَخَذَهُم الوالِدَانِ إلى نَاحِيةٍ من الغَابَةِ ، أَبْعَدَ وأَكثَفَ أَشْجَاراً ، يَسُودُ فيهَا ظَلَامٌ في النَّهار .

وَهُناكَ ، صَنَعا مِثلَمَا صَنَعَا في المَرَّةِ السَّابِقَةِ ، تَظَاهَرا بالعمَلِ ، وَتركا الأَولادَ وَهَرَبا .

لَمْ يَحْزَنْ حصُّ الثُومِ كثيراً ، إذْ حَسِبَ أَنَّهُ سَيَجِدُ الطَّرِيقَ بِسُهُولَة ، نَظَراً ، لِنَثْرِهِ فُتاتَ خُبْزَتِهِ على مَدى الطَّرِيق الَّذي مَشَوا عَليه . غَيْرَ أَنَّهُ تَعَجَّبَ ، إذْ لَمْ يَجِدْ أَثَراً لِفُتَاتِ خُبْزَتِهِ التي حَرَمَ نَفْسَهُ مِنْهَا لِيجِدَ الطَّرِيق: قَدْ جَاءَتِ العَصافِيرُ وَحَطَّتْ على الأَرْضِ وَأَكَلَتْهَا جميعاً .

هٰكذا ، غَلَبَ الخَوْفُ عَلَى الأَوْلادِ . فَكانُوا كُلَّما حَاوَلُوا الخُرُوجَ من الغَابَةِ أَبْعَدُوا في الدُّخُولِ إلى أَعْمَاقِهَا .

وجَاءَ اللَّيلُ ، وَهَبَّتْ ريحٌ عَاصِفَةٌ زادتْ في مَخَاوِفِهِم .

فَلَمْ يَحسَبُوا تِلكَ الأَصْوَاتَ إلا عُواءَ ذِئَاب ، قادِمَةٍ نَحْوَهُم





لتَفْتَرِسَهُم . فوقَفوا كالأصنامِ لَا كلامَ ولا حَرَكَة .

ثُمَّ تساقطَ مَطَرٌ غَزيرٌ اختَرَقَ ثِيابَهُمْ وَدَخَلَ إلى عِظَامِهم ، فراحوا يـ [illegible] أن يَجِدُوا مَلْجأً ، فإذَا بِهِم يسقُطُونَ ، مُتَزَحلِقينَ كُلَّمَا خَطَوا خُطْوَةً وَاحِدةً فَيَنْهَضُونَ مُلَوَّثينَ بالوَحْلِ ، وتَحَيَّروا في ما يَصنَعُونَ بأَيديهم .

أمَّا حصُّ الثُّوم ، فقد تسلَّقَ شجرةً ، لِيرَى هل يَقدِرُ على رُؤْيةِ شيءٍ ، والتَفتَ إلى كُلِّ جهَةٍ ، فَأَبْصَرَ نُوراً ضئيلاً مثلَ نُورِ الشَّمْعَةِ ، غَيْرَ أنَّهُ كانَ بَعِيداً ، بعِيداً جداً ، في آخرِ ما تمتَدُّ إليهِ الغَابَة .

فَنَزَلَ مِن عَلى الشجرَةِ ، وما كَادَ يَبلُغُ الأَرضَ حتَّى لم يَعُدْ يَرى شَيْئاً فعَادَ حَزيناً ، وكادَ اليأْسُ يقتُلُهُ .

غَيْرَ أنَّهُ استَمَدَّ من ضُعْفِهِ قُوَّةً وَشجَاعَةً ، وَسَارَ أَمَامَ أُخوَتِهِ نَحْوَ الجِهَةِ الَّتِي أَبْصَرَ فيهَا الضَّوءَ .

وَأخذُوا يَمْشُونَ ، وَيَمْشُونَ في قَلْبِ الظَّلامِ ، يُمْسِكُ وَاحِدُهم بَطَرفِ الآخرِ مِثلَ القِطَارِ أَو القَافِلَة ، حَتَّى رَأَوا أَخيراً ، أَنَّهم قد خرجُوا منَ الغَابَةِ .

ثُمَّ انتهَوا الى البَيْتِ الَّذي انبَعَثَتْ مِنْهُ نُورُ الشَّمْعَةِ ، وبدونِ أن يَهزَّهُمُ الخَوْفُ كثيراً ، لأَنَّهم كَانُوا قد تعَوَّدوا المخَاوِفَ والخطَرَ . فَنَزَلُوا الى الموضع حَيْثُ كان عَميقاً . وقرعُوا البابَ . فجاءَت امرَأَةٌ مُتَلاطِفَةٌ تَفْتَحُ لَهُم .

وَسَأَلَتْهُم ما يُريدون .

فَأَجَابَ حصُّ الثُّوم ، بأَنَّهم أولادٌ فُقَرَاءُ ضَاعُوا فِي الغَابَةِ وَلَا يسأَلُون غيرَ أَنْ تَتفضَّلَ عَلَيْهِمُ ، بأَن يَنامُوا اللَّيلةَ في بَيْتِها .

نَظَرَتْ إليهم المرأَةُ فَرَأَتْ وُجُوهاً جَميلةً ، بِرَغْمِ ما ارتَسَمَ عَلَيْهَا مِنَ الخَوْفِ وَالشَّقاء ، فَأَخَذت تبكي لِحَالِهِم ، وَقَالَت لهم:

ـ وَا أَسفاه! يا أَولادي المسَاكين ! مَا جَاءَ بِكُمْ إلى هنا ؟! أَلا تَعْلَمُونَ أَنَّ هٰذَا بَيْتُ غُولٍ يَأْكُلُ الأَولادَ الصِّغَارَ ؟

أَجابَ حصُّ الثُّوم ، وهُوَ يرتَعِدُ مِنَ الخَوْفِ ، وأُخوتُهُ وراءَهُ يرتعِدُونَ كذلك:

ـ آسفُ يا سَيِّدتي الطَّيبَة ، بأَنْ أُثقِّلَ عَلَيْكِ ، فَأَطْلبَ مِنكِ أَن تُشِيري عَلَيْنا بما يَجِبُ عَلَينا أَن نَصْنَعَ ؟ إنَّ ذِئابَ الغَابَةِ ، بِكُلِّ تأْكيد ، لَن تُوفِّرَنا ، ولن تَتَراجَعَ عن أَكْلِنا ، إذَا نَحْنُ لَمْ نَجِدْ مَلْجَأً نبيتُ فيهِ اللَّيْلَةَ . إنَّنا نُفضِّلُ أَنْ يأْكُلَنا هٰذَا السَّيِّدُ ، فَقَد يشْعُرُ بشَفَقَة علينا ، إنْ أَنْتِ تكَرَّمْتِ وَكَلَّمْتِهِ فِي أَمْرِنا .





إنَّ زَوجَةَ الغُولِ وقد اعتقَدَتْ بأَنَّهَا تَقْدِرُ عَلَى إخفائِهم عَنْهُ حتَّى الصَّباحِ ، تركَتْهُمْ يَدْخُلُونَ ، وَقَادَتْهُمْ الى قُرْبِ المَوْقِدِ لِتَنشفَ ثِيَابُهُم وَيَشْعُرُوا بالدِّفءِ ، فَقَدْ كانَ عشاءُ الغُولِ حاضراً ، وَهوَ خَرُوفٌ قد شكَّهُ بسفُود عَظيمٍ من الحَديدِ وَجُعِلَ عَلى النَّارِ لينضَجَ .

ما كادَ الأَولادُ يَشْعُرُونَ بالدِّفءِ حَتَّى سَمِعُوا ضَرَبَاتٍ قويَّةً على البابِ : لمْ يكُنْ ذاكَ غيرَ الغُولِ بِذَاتِهِ .

فأَسْرَعَتْ امرأَتُهُ ، تُخَبِّىءُ الأَولادَ تَحْتَ السَّريرِ ، ثُمَّ فَتَحَتِ الباب .

سَأَلَ الغُولُ أَوَّلاً عَن عشَائِهِ ، هَل حَضَرَ ، وَهَل جِيءَ إِلَيْهِ بالخَمْرِ كذلكَ ، ووُضِعَ على المائِدَة !

كانَ الخَرُوفُ لا يَزَالُ يَنْزِفُ دَماً فَوْقَ النَّارِ . لٰكِنْ ، لم يَكُنْ لَهُ شَيءٌ أفضلُ مِنْهُ .

رَاحَ يَشُمُّ يَميناً وَيَساراً ، قَائِلا إنَّهُ يشُمُّ رَائِحةَ لَحْمٍ طَرِيءٍ .

أَجابَتْهُ زَوْجَتُهُ :

– لا بُدَّ أن تكونَ هٰذِهِ رَائِحَةَ الثَّورِ الَّذي سَلَختُهُ لكَ مُنْذُ قَليل .

وهَدَرَ الغُولُ قَائِلاً :

– إنِّي أَشَمُّ لَحْماً طَرِيًّا ، أقولُ لكِ لِلْمَرَّةِ الثَّانِيَةِ .

وَرَاحَ يُحَدِّقُ إلى زَوْجَتِهِ ويُغَمْغِمُ :



ـ في هذَا المكانِ شيءٌ لا أسمَعُهُ .
قَالَ هذَا ، وَنَهَضَ مُتباعِداً عَنِ المَائِدَةِ وَتَوَجَّهَ الى السَّرِيرِ .
وَهَتَفَ:
ـ آه ! أرأَيْتِ أَنَّكِ حَاوَلْتِ أَنْ تخْدَعيني أَيَّتُهَا المَرْأَةُ المَلْعُونة ! لا أعلَمُ لِمَاذَا أَبْقيتُكِ في الحَياةِ إلى الآن ، وَلَم آكُلْكِ . فما أنتِ إلاَّ بَهِيمَةٌ عَجُوز ، لو طَابَ لَحْمُكِ لَما بَقِيتِ في قَيْدِ الحَياة .
يا لَهَا من صَيْدَةٍ مُمتازَةٍ ، جَاءَتْني عَفْواً ، فَإِنِّي سَأَجْعَلُ مِنهَا وَلِيمةً طَيِّبَةً أَدْعُو اليْهَا ثلاثَةً من اصْحَابي الغيلَانِ الَّذينَ سَيَأْتُونَ اليَوْمَ لِزِيَارتي .
وَرَاحَ يَسْحَبُ الأَوْلَادَ مِن تَحْتِ السَّريرِ وَاحداً وَرَاءَ الآخر .
فَركَعَ الأَوْلادُ المساكِينُ ، يسْأَلونَهَ رَحْمَةً ، غيرَ أَنَّهُ كَانَ أقْسى مِن جَميعِ الغِيلانِ ، فَأَيْنَ الشَّفَقَةُ وَالرَّحْمَةُ ! إنَّهُ لَيَكَادُ يَأْكُلُهُمْ بِعيْنَيْهِ . وقَالَ لِزَوْجَتِهِ أَن تَجْعَلَ مِنْهُمْ قِطَعاً صَغِيرَةً . فَهُم يَصلحُونَ أَكْلَةً طيِّبَة ، مع الصَّلصة .
وَمَضَى لِيَجْلُبَ سكِّيناً كبِيرَةً ، ثُمَّ عادَ مُتَوجِّهاً نَحْوَ الأَوْلادِ المَسَاكِينِ . وَهُوَ يسِنُّ السِّكِّينَ عَلَى مِسَنٍّ طويلٍ ، حَمَلَهُ بِيَدِهِ اليُسْرَى .
وَإِذْ قَبَضَ عَلَى وَاحدٍ مِنْهُم ، هَتَفَتْ بهِ زَوْجَتُهُ :
ـ مَا هو الدَّاعي إلى هٰذِهِ السُّرعَةِ ؟ أَمَامَكَ وَقْتٌ طَويلٌ حَتَّى يجيءَ الغَد .
فَزَعَقَ فِيهَا الغُولُ :
ـ أُصْمتي ! سَيكُونُ لَحْمُهُمْ أَطْرَى ، فَأَنا أَعلَمُ مِنْكِ بالوَلائِمِ الطَّيبَة .
قَالَتِ المرأة:
ـ لكن ، لا يَزَالُ عِنْدَكَ لحْمٌ كثير: عندَكَ ثَوْرٌ ، وَخَرُوفَانِ ، وَنصفُ خنزيرٍ !
هَزَّ الغُولُ رأْسَهُ مُوَافِقاً وَقَالَ :
قَدِّمي لَهُمْ إذَنْ ، عَشَاءً طيِّباً ، وَليأْكُلوا جيِّداً ، ويشبَعُوا ، لِئَلا تنحَلَ أَجْسَامُهُم ، ثُمَّ تدبِّري أَمْرَ نَوْمِهِم .
فَفَرِحَ قَلْبُ المَرْأَةِ ، وَجاءَتْهم ، على الفور ، بِعشَاءٍ طيِّبٍ ، غيرَ أَنَّهم لَمْ يَقدِرُوا على تَنَاوُلِ شَيءٍ مِنَ الطَّعَامِ ، لِما حَلَّ فِيهم مِنَ الخَوْف .

أمّا الغُولُ، فَقدْ جلَسَ يَشْرَبُ الخَمْرَ، فَرِحاً لِأَنَّهُ تَدبَّرَ وَليمَةَ أَصْدقَائِهِ. فَشَرِبَ اثنَي عَشْرَةَ كَأْساً أَكثَرَ مِمَّا كانَ يَشْرَبُ عادَةً: فَدَارَ رَأْسُهُ، وتَخَدَّرَ عَصَبُهُ، وَاضطُرَّ أَنْ يَنْهَضَ الى فِرَاشِهِ.

وَكَانَ لِلغُولِ سَبْعُ بَنَاتٍ، ما زِلْنَ بُنَيَّاتٍ لَمْ تَتَجاوَزْ كُبراهُنَّ الحَادِيَةَ عَشْرَةَ.

كَانَت بَشَرَةُ الغُولاتِ الصَّغيرَاتِ جَميلَـةً جداً، لِأَنهُنَّ كُنَّ يَغْتَذينَ باللَّحْمِ الطَّرِيِّ مثلَ أَبيهِنَّ، وكَانَت عيونُهنَّ صَغِيرَةً رَمَادِيَّةً مُسْتَديرَةً، وَأُنوفُهُنَّ مَعْقُوفَةً، وَأَفواهُهُنَّ كَبيرةً بِأَسنَانٍ طَويلةٍ حَادَّةٍ مُتَبَاعِدَةٍ.

لَمْ يكُنَّ قَدْ بَلَغْنَ مِقْداراً عَظِيماً مِنَ الشَّرِّ، لكنَّ الدَّلائِلَ تُشيرُ إلى أَنَّهُنَّ سيُصبِحْنَ مِثْلَ وَالدِهِنَّ، لِأَنَّهُنَّ يُحَاوِلْنَ دَائِماً أَنْ يَعْضِضْنَ الأَولادَ الصِّغَارَ لامتِصَاصِ دمَائِهِم.

كانَتِ الغُولاتُ الصَّغيرَاتُ يَذْهَبْنَ الى النَّومِ باكراً، يَنَمْنَ جَميعاً في سَريرٍ كَبيرٍ على رَأْسِ كُلٍّ واحدَةٍ مِنْهُنَّ إِكليلٌ منَ الذَّهَبِ.

وَفي الغُرْفَةِ ذَاتِهَا سَرِيرٌ آخَرُ من الحَجْمِ ذَاتِهِ: في هذا السَّريرِ أَنامت زَوجَةُ الغُولِ الصِّبيانَ الصِّغارَ. ثُمَّ مَضَتْ وَرَقَدَتْ الى جانِبِ زَوْجِهَا.



لَاحظَ حصُّ الثُّوم بَنَاتِ الغُولِ، وَعَلى رأسِ كُلٍّ مِنْهُنَّ إكليلٌ مِنَ الذَّهَبِ، وَخَافَ أن يُعَاوِدَ النَدَمُ الغُولَ على أنَّهُ لمْ يَذبَحْهُم في ذلكَ المساء بالذَّات، نَهَضَ قُرْبَ مُنْتَصَفِ اللَّيْل فأَخَذَ القُبعاتِ عن رؤوسِ أُخوَتِهِ، وَانسَلَّ بخِفَّةٍ الى بَنَاتِ الغُولِ فأَخَذَ الأَكاليلَ عن رؤوسِهِنَّ ووضَعَ قُبَّعاتِ أُخوتِهِ بَدلًا مِنْهَا . وَعَادَ فَوضَعَ الأَكاليلَ على رُؤوسِ أُخوتِهِ ونامَ . وكَانَتْ غَايَتُهُ أَنْ يَخْدَعَ الغُولَ فَيَذْبَحَ الغُولُ بَنَاتِهِ بَدَلَ ان يَذبَحَ الصِّبيانَ الصِّغارَ .

نَجَحَتْ حيلَةُ حصِّ الثُّوم . وَحَدثَ ما تَوقَّعَ أن يَحْدُثَ ، إذْ إن الغولَ استَيْقَظَ بَعْدَ مُنْتَصَفِ اللَّيلِ ، وَلِئلَّا يندمَ على تأْخيره الى الغدِ ، ما كَانَ قَادِراً أَن يصنَعَهُ في المساء نَهَضَ في الحَالِ مِن سَريرِهِ وَجَاءَ بِسِكِّينِهِ الكَبيرَةِ ، وَقَالَ في ذَاتِهِ:

ـ لنرَ الآنَ كَيْفَ حَالُ هٰذِهِ اللُّعَبِ الصَّغيرَة ، ولَن نقومَ بِعَمَلِنا هٰذَا مَرَّتين .

وانسلَّ على رؤوسِ أَصَابِعِهِ الى غرفةِ بَنَاتِهِ ، واقتَرَبَ من السَّريرِ الَّذي يَنامُ فيهِ الصِّبيانُ الصِّغَارُ الذينَ غَرِقُوا في الأَحْلَامِ جميعاً ، إلاَّ حصَّ الثُّوم الذي كانَ لا يَزالُ يشْعُرُ بقَبْضَةِ الغُولِ لمَّا نَقَرَ على رأْسِهِ في المَسَاءِ مِثلَمَا فعل بأُخوتِهِ .

فَتَحَسَّسَ الغُولُ الأَكاليلَ الذهَبية وقَال:

ـ الحَقُّ أنهُ كانَ عَلَيَّ أَنْ أقومَ بِهٰذا العَمَل مسَاءَ البَارحَةِ غيرَ أَنِّي شَرِبْتُ كثيراً .

واتَّجَهَ رَأْساً الى سَريرِ بَنَاتِهِ ، حَيْثُ تلَمَّسَ قُبَّعَاتِ الصِّبيَانِ الصغَارِ :

ـ هُوذَا أَنتُم ، يا أَبطَالي الصِّغَار ! فلْنَعْمَلْ بكُلِّ إخْلاصٍ . قالَ هٰذَا وقَطَعَ رُؤوسَ بنَاتِهِ جَميعاً ، وَعَادَ فَنَامَ قُرْبَ زَوْجَتِهِ . وَعِنْدَ الصبَاحِ أَيْقَظَهَا قائِلًا: «تدَبَّري امرَ هَؤلاءِ الصِّغارِ ، أَلبِسيهِمْ ثِيابَهُمْ وقَدِّمي لَهُمْ طعَاماً !»



فتعجّبت المرأةُ مِنْ تبدُّلِهِ ورَأْفتِهِ. ونَهَضتْ، فَلَمَّا رأَتْ بَناتِها غارِقات في دِمائِهِنَّ راحَتْ تَبْكي وتَنوحُ وتَلُومُ زوجها على ما فَعَلَ بِسَبَبِ إكْثارِهِ مِنَ الشَّراب. ولكِنَّهُ نَظَرَ فرأَى أنَّ الحِيلَةَ جَرَتْ عَلَيْهِ. فَهاجَ هِياجاً شديداً، وطَلَبَ حِذاءَهُ الطَّويلَ السَّاقِ لِيَلْبِسَهُ وَيَذْهَب وراء الأولادِ الَّذينَ خَدَعُوهُ.

وكانَ حُصُّ الثُّوم قَد نَهَضَ في اللَّيْلِ، وانطَلَقَ هُوَ وإخْوَتُهُ وراءَهُ مُسْرِعين نَحْوَ بَيْتِ والدَيْهِم. وأخَذَ الغُولُ يَقْفِزُ من تلَّةٍ إلى تَلَّة. ويَصْعَدُ الجِبالَ ويَهْبِطُ الأَودِيَةَ بِسُرْعَةٍ غَرِيبَةٍ حَتَّى شَعَرَ الأولادُ بأَنَّهُ صارَ قَرِيباً، ولا بُدَّ أن يقبضَ عَلَيْهِم ويَذْبَحَهُمْ بِسكِّينِهِ الحادَّةِ. فأَخذُوا يَرْتَجِفُونَ مِنَ الخَوْف.

ولكنَّ حصَّ الثُّوم، كان أَقلَّ من أُخوَتِهِ خوفاً. فأَشارَ إِلَيْهِمْ ان يَختَبِئُوا في مَغارَة داخِلَ الصُّخورِ، وَمَشى أَمامَهُم فتبعُوه.





وكَانَ الغُولُ قد تَعِبَ مِنْ القفزِ والرَّكْضِ فَنَامَ في ظِلِّ الصَّخْرة العظيمةِ الَّتي على بَابِ المَغارَةِ وَمَا لَبِثَ أن أَصَابَهُ نُعَاسٌ فَأَغفَى، وَرَاحَ يُصْعِدُ شَخيراً وَنخيراً أُرْعِدَ بِهِمَا الأَوْلادُ.

لكِنَّ حصَّ الثُّومِ قَالَ لأُخوتِهِ أن يَخْرُجُوا بِخِفَّةٍ، وَيَذْهبُوا رأساً إلى البَيْتِ الَّذي صَارَ قَرِيباً. وَبَقِيَ هُوَ يُلَاحِظُ الغُولَ. فَلَمَّا تَأَكَّدَ لَهُ أَنَّهُ غَارِقٌ في النَّوْمِ، تَقَدَّمَ برِفْقٍ وَانتزعَ جَزْمَتَهُ الكَبِيرَة وَلَبِسَهَا.

كَانت تِلْكَ الجُزَيْمَةُ كَبِيرَةً جدًّا بالنِّسبَةِ لَهُ. وَإِذْ كَانَتْ من نَوْعِ الجِنِّ، فَقَدْ كَبَّرَتْ قَامَتَهُ وَسَاقَيْهِ حَتَّى صَارَتْ مُنَاسِبَةً لها. وَكَأَنَّهَا صُنِعَتْ من أَجلِهِ.

وَقَصَدَ بَيْتَ الغُولِ عَلى الأَثَرِ، فَوَجَدَ امرأَتَهُ تبكي بناتِهَا الذَّبِيحات. فَقَالَ لها:

ـ إنَّ زوجَكِ في خطَرٍ عَظِيمٍ، إذ قَبَضَ عَلَيْهِ جَمَاعَةٌ مِنَ قُطَّاعِ الطُّرُقِ، وَقَد حلفوا أَن يقتُلُوهُ، إذا هُوَ لَمْ يَدْفَعْ إِلَيْهِم بِكُلِّ مَا يَمْلِكُ مِن الذَّهَبِ والفضَّة. في اللَّحظَةِ الَّتِي كَانَت أَيديهِمْ تَشُدُّ عَلى عُنُقِهِ أَبْصَرَنِي، فَطَلَبَ إليَّ أَن آتِي إِلَيْكِ بالخبَرِ، وَأَن تُرْسِلِي إِلَيْهِ بما لديكِ مِنَ الذَّهَبِ والفِضَّةِ لإِنقاذِ حياتِهِ. وَلَمَّا كَانَ الأَمْرُ يَحْتَاجُ إلى السُّرْعَةِ، أَعْطَاني جَزْمَتَهُ الَّتِي تَرَيْنَ لأَجْتَهِدَ في السَّيْرِ، وَلكَي تُصدِّقِي أَني لَسْتُ مُحْتالًا.

فَأَخَذَتِ المَرْأَةُ المِسْكِينَةُ تَرْتَجِفُ مِنَ الخَوْفِ وَأَسْرَعَتْ في تَلْبِيَةِ طَلَبِهِ، وَأَعطَتْهُ أيضاً كُلَّ ما كَانَت تَمْلِكُ مِنَ الحِلى.

فَحمَلَ حصُّ الثُّوم كُلَّ ما عِنْدَ الغُولِ مِنْ ثَرْوَة، وَأَتى بَيْتَ وَالِدِهِ حَيْثُ استُقْبِلَ بِفرَحٍ عَظيمٍ. كَانَ هُناكَ عَدَدٌ مِنَ الرِّجالِ لمْ يُصَدِّقوا أَنَّ حصَّ الثُّومِ انتزعَ الجَزْمَةَ مِنَ الغُولِ



إن هٰذِهِ الجَزمَةَ لمْ تُوجَدْ إلا للرَّكْضِ وَرَاءَ الأَولادِ الصغار .

لكِنَّهُم ، صَدَّقُوا لَمَّا أَرَاهُم ما جَاءَ بِهِ مِن بَيْتِ الغُول وَقدْ حَكَوا الحِكَايَةَ وَقَالُوا إنَّهُمْ أَكَلُوا وشَرِبُوا في بَيْتِ الحَطَّاب . وَأَكَّدوا أَنَّ حصَّ التُّوم مَضى إلى البِلاط واستَعْلَمَ عَنْ مَعْرَكَةٍ كَانَتْ قائِمَةً في مَكَانٍ على الحُدُودِ بَيْنَ مِئَتَيْنِ من جُنُودِ الملِكِ وَبَيْنَ الأَعْداء .

فَمَضى في الحَالِ إلى مَيْدَانِ المَعْرَكَةِ وَجَاءَ المَلِكَ بأَخْبَارِ انتصارِ جنُودِهِ بِسُرعَةٍ غَريبَة .

فَأَعْطَاهُ المَلِكُ كَمِيَّةً كَبيرَةً مِنَ النُّقودِ إكراماً لهُ . ثُمَّ جَعَلَهُ رَسُولَهُ يُرْسِلُهُ في الأُمُورِ الَّتي تحتاجُ الى سُرْعَةٍ .

وَبَعْدَمَا قَضى مُدَّةً مِنَ الزَّمَنِ في وظيفةِ رَسُولٍ عندَ المَلِكِ ، وَرَبِحَ شيئاً كَثيراً مِنَ المَالِ والهَدَايا عادَ الى بَيْتِ أَبيه .

فَلَمَّا وَصَلَ قَامَتِ الأَفرَاحُ ابتِهَاجاً بَعَوْدَتِهِ . وَجَعَلَتِ الأُسْرَةُ كُلُّهَا أَمْرَهَا في يَدِهِ ، يَتَدَبَّرُ أَحْوالَهَا كما يَشاءُ .

فَاشْتَرَى مَكَاتِبَ جَدِيدَةً لأَبيهِ ، وَأُخوتِهِ ، وَلَمَّا صَارَ كُلٌّ مِنْهُمْ في عَمَلِهِ ، ارْتَاحَتْ نَفْسُ حصِّ التُّوم وَعَادَ يَتَجَوَّلُ في البِلَادِ وَيَتَعَرَّفُ الى النَّاسِ ، بِفَضْلِ الجَزمَةِ الّتي انتزعَها مِنَ الغُولِ ، وَفَضْلِ جُرأَتِهِ وَذَكَائِه

حكايات كل زمان

- الزناد السحري
- رمّودة
- حكاية من الشرق
- شليجة البيضاء
- مصباح علاء الدين
- بولين وديدي
- غابة السهم الذهبي
- الأمير إڤان والعصفور الذهبي
- أبو قير وأبو صير
- علي بابا واللصوص الأربعون
- هنسل وغريتل
- الأميرة وراعي الماعز
- البلبل
- الإخوة الثلاثة والكنز
- الزهو البري
- أبو جزمة
- شرشوح
- ٥ في قرن بازلا
- السمكة الذهبية
- الأميرة المسحورة
- الملك الضفدع
- جوقة مدينة بريما
- الناي السحري
- الذئب والعنزات السبع
- الأمير دراغون
- الوزة السحرية
- حصن الثوم
- الفول السحري
- الحمار الذهبي
- وريدة الحمراء وثليجة البيضاء
- قرة العين
- القزم وابنة الطحان
- الحية البيضاء
- الشاب المحظوظ
- جميلة الغابة
- راعية الوز
- جوهرة
- الغربان السبعة
- الأميرة المحبوبة

منشورات مكتبة سمير

شارع غورو • هاتف : ٢٢٦٠٨٥ • بيروت

